16

وصية بالزهد في الدنيا وناسها

نص الوصية

عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: قال رجلٌ: يا رسول الله، دُلَّني على عملٍ إذا أنا عملتُهُ أحبَّني الناسُ. قال: **«ازهَدْ في الدنيا يُحبَّكَ اللهُ، وازهَدْ فيما في أيدي الناس يحبَّكَ الناسُ»**[1].

مفردات الوصية

الجملتان الأولى والثانية المقصود بهما: إن تزهَدْ في الدنيا يحبك الله، وإن تزهد فيما في أيدي الناس يحبك الناس، فهما جملتان شرطيتان في المعنى؛ إذ إن الشرط وجوابه مترابطان، ويقع الجواب بوجود الشرط ويترتب عليه.

ما يُفْهَمُ من الوصية

أختي المسلمة، في هذه الوصية يطلب النبي ﷺ من الرجل أن يزهد في الدنيا كي يحبه الله، وكذلك أن يزهد فيما بين أيدي الناس لكي يحبه الناس.

والزهد أمر متعلق بنفس الإنسان وبتفكيره، فالغني كالفقير قد يكونان زاهدين في الدنيا، وليس معنى الزهد هو التقشف، فالتقشف ليس من عقيدة المسلمين؛ فهو مأخوذ من ديانات أخرى؛ ويعني لبس الثياب الخشنة والقاسية، وأكل الطعام الخشن واليابس، ومنع النفس من الاستلذاذ بالمآكل

(1) رواه الطبراني في "المعجم الكبير" برقم (5972)، وهو صحيح.

الدسمة والمشارب الفخمة، والصيام الطويل والتعذيب للنفس. فهذا كله غير جائز شرعاً.

فالزهد إنما يعني عدم تعلق النفس بالدنيا وعدم الالتفات إلى ما فيها وإلى الأشياء التي بين يدي الناس، فلا يرغب الإنسان الزاهد في اقتناء المال وحصول الجاه، ولا يحرص على النظر إلى امتلاك شيء يملك الناس مثله، فهو لا يكترث لهذه الأمور ولو كان غنياً قادراً على المال.

فالزهد هو انصراف نفسي عن التعلق بالدنيا، وهو يتطلب هنا الانصراف إلى طاعة الله والرغبة في ثواب الله وفيما عند الله في الآخرة مما أعده الله لعباده الصالحين، ه لذلك لا يتعلق الزاهد بالمال، ولا يضيع في زحمة الحياة الدنيا مثل أهلها الطامعين الذين لا يكفُّون عن البحث عن المال والعمل له والسهر من أجله، وتراهم في النهار في صخب وضجيج يفاوضون على البيع والشراء وعلى أمور حياتهم، غير أنهم لا يتحركون ليلاً للعبادة ولا لطاعة الله؛ وهذه صفة تؤدي إلى النفاق، وهي مما ه صف الرسول ﷺ به المنافقين؛ فذكر أنهم **«صُخُبٌ في النهار، خُشُبٌ في الليل»**؛ أي أنهم أصحاب صَخَب وضجيج بأصواتهم حين ينادون على بضاعتهم أو يعقدون الصفقات مع الآخرين، وأما ليلاً فهم كالخشب المسندة.

وتحرص كثير من النساء دائماً على إرضاء أنفسهن الراغبة بالكثير مّما تطلبه نفوسهن، فهن يطلبن الزينة من الحلي والفاخر من الثياب، والمطاعم أو المآكل والمشارب الفخمة، وينسين الآخرة ونعيمها، ولا يخطر في بالهن طاعة الله سبحانه، ولا يحسبن حساباً للموت وما بعد الموت، فهذا هو التعلق الشديد بالدنيا، والخير والحق في غير هذا، وأنفسنا تقنع بالقليل لو أننا أقنعناها، ولكن النفس طماعة.

إن الله – أختي المسلمة – لم يحرم زينة الحياة الدنيا، غير أنه علمنا أن نعتدل في كل شيء، وأوصانا بألا نتجاوز الحدود لئلا ننشغل بالدنيا عن الله؛ فالنبي ﷺ كان يستمتع بالحياة فكان يأكل الرُّطَب مع الخِرْبِز (البطيخ)، ولما سُئِلَ عن ذلك أجاب: **«نُكْسِرُ حَرَّ هذا بِبَرْدِ هذا، وبَرْدَ هذا بِحَرِّ هذا»**؛ فالنبيﷺ تمتع بالأكل ولم يمنع نفسه عن تلك المتعة، وأيضاً قال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [الأعراف: 33]؛ فجعل الطيبات في الدنيا للذين آمنوا كما جعلها لهم يوم القيامة في الجنة.

ويحدثنا النبي ﷺ عن أيوب عليه السلام فقال ﷺ: **«بينما أيوبُ يغتسلُ عُرياناً، فَخَرَّ عليه جَرَادٌ من ذَهَبٍ، فجعل أيوبُ يحتثي في ثوبه، فناداه ربه: يا أيوبُ، ألم أكُنْ أغْنَيْتُكَ عمَّا تَرَى؟ قال: بلى وعِزَّتك، ولكن لا غِنَى بي عن بَرَكَتِكَ»**؛ فهذا أيوب عليه السلام لم يدع جراد الذهب، وهو قد قال ما قال لربه حين أنكر عليه هذا الركض لجمع الجراد الذهبي في ثوبه، فالأنبياء لم يأتوا بدين الامتناع عن الدنيا وعن شهواتها، فهذا كله اختراع من البشر وليس تشريعاً من رب العالمين.

أختي المسلمة، إن الزهد المطلوب في هذه الوصية هو ألا تتعلق النفس بالدنيا، وألا تتبع شهوات الدنيا بحيث تنجرف في اللذائذ فلا تستفيق لطاعة الله، فالله يحب العبد الذي يطلب ما عنده من الثواب والأجر ولا تلتفت نفسه إلى البحث في الدنيا، وإنما تتعلق بما عند الله، فلذلك يحرص على الاستزادة من الطاعة لنيل ثواب الله ورضوانه، كما أن الذي تطمع عينه وقلبه فيما بين أيدي الناس وفيما يملكونه يؤدي به هذا إلى أن يظهر أمام الناس بمظهر الحاسد الذي يرغب في نعمة غيره، ولا يحب الخير لغيره، كما هو مظهر الطماع

الجشع الذي لا يشبع من الدنيا، وهذان الشخصان كريهان لا يحبهما الناس، فإذا زهد الإنسان فيما عند غيره ولم ترتفع عيناه ولا نفسه إليه فإن الناس سيحبونه لهذا الزهد.